نشأة الثقافة العربية الإسلامية
نظرة إلى العراق

للدكتور عبد العزيز الدوري

ان نشأة الثقافة العربية الاسلامية ظاهرة معقّدة تتطلّب دراسة بيئاتها والعناصر المكوّنة لها ، والاتجاهات والتطورات الخاصة . وفيما يلي محاولة اولية لرسم الخطوط العامة (١) .

ادّى التوسّع العربي الاسلامي — الذي رافقه الفتح بدرجة — الى فتح ابواب البلاد الخصيبة الى الشمال امام القبائل المندفعة باستمرار من الجزيرة العربية ، وشجّعت الخلافة الهجرة الى الأمصار واعتبرتها لازمة للانتماء الكلّي للأمة (٢) . واعتبرت العودة الى البادية ، بعد الهجرة ، امرا مكروها (٣) . وهذا ادى الى استقرار متزايد للقبائل في البلاد المفتوحة .

واتجهت سياسة التمصير ابتداء الى وضع المقاتلة في مجموعات متماسكة في المراكز الجديدة ، في دُور هجرة مثل البصرة والكوفة ، وفي قرى او مناطق قرب المدن القديمة (كما في الاجناد في الشام) ، او في اماكن استراتيجية (كما في انحاء من الجزيرة الفراتية) .

واستمرت القبيلة او العشيرة اساسا في تنظيم السكن والعلاقات الاجتماعية في الأمصار . وكانت القبيلة — عند خروجها من الجزيرة — تتوزع عادة بين اكثر من مركز او منطقة ، ثم نُظّمت المجموعات القبلية ، لأغراض التعبئة العسكرية، في وحدات كبيرة ، على الاسباع (ثم الارباع) في الكوفة مثلا، وعلى الاخماس في البصرة .

وساعدت الاقامة في بلد واحد ، وظهور مصالح جديدة ، والمصاهرات بين القبائل ، اضافة الى تاثير المفاهيم الاسلامية، على ظهور ولاءات محلية ، واوجدت ظروفا ثقافية جديدة ، وساعدت

على قيام تكتلات جديدة (٤) . وهـذا يوضح كيف ان القبائـل الواحدة او القريبة ، والتي تعيش في امصار او اقطار مختلفة ، لم تتخذ موقفا واحدا في القضايا العامـة . وكل ذلك ساعد على ظهـور اتجاه نحو الوحدة بين القبائل فـي المصر الواحد .

وكان كـلٌّ من الكوفة والبصرة بابا للبادية الـى السواد ؛ وهذا يوضح إلى حدٍّ مـا اطراد الهجرة اليهما . وأكّد هـذه الهجرةَ استمرارُ الصلات بـين عشائر المصرين وبين اقربائهـا من القبائل الرحالة في البوادي المجاورة . هذا الى ان جماعات من المقاتلة (خاصة من ربيعة وتميم) استمرّت على العيش في الباديـة مع استعدادها لتلبية النـداء للمشاركة في الحملات حين استقـر الآخرون في الكوفـة والبصرة (٥) .

ولـم تُشجَّع الاقامة بين السكان المحليين في البـدء ، ونُظِر اليها بشيء من الإنكار (٦) . وهكذا فان عزلة المقاتلـة ، وهي ضرورة عسكرية واجتماعية في البـدء ، كان لها اثرها في توفير جـوٍّ للوحدة والاستمرار الثقافي ، وساعدت علـى جذب الآخرين الى اطار المجموعـات العربية — الى الاسـلام والعروبة .

— وكانت اللغة العربيـة اساس الهُوِيَّة العربية ، فالنـاس عرب او عجم بلغتهـم . أما المفاهيم المتصلة بالنسب والتـي تنطوي على مفهوم الجذور البشريـة عند القبائل ، فانها لـم تطمس هذا الاساس . فحين قال الحجّاج لأهـل الكوفة : « لا يؤمنكم الا عربـي » ، وثب بعضهم بالقارىء يحيى بـن وثاب ، وهو مولى ، لعزلـه عن الامامة ، فاعترض الحجاج قائلا : « وَيْحَكم إنمـا قلتُ عربي اللسان » (٧) . وهكـذا صارت اللغة ، لا الـدم ، اساس العروبة (٨) .

ولمـا كانت العربية لغـة القرآن ، فقد ارتبطت بالاسلام ، مما اكسبها حرمـة وساعد على انتشارها . فكـان دخول الاسلام يعني تعلُّمَ العربية ، وربّما المشاركـة في الثقافة العربية . وتكاد « العربية »

ان تكون مرادفة للاسلام في الفترات الاولى (٩) . فلما سأل ابو جعفر (المنصور) مولى لهشام بن عبد الملك عن هويّته ، قال : « ان كانت العربية لسانا فقد نطقنا بها ، وان كانت دينا فقد دخلنا فيه » (١٠) .

ـ كانت القبائل العربية تندفع باستمرار الى الاراضي الخصبة . وقد انتشرت في الجزيرة الفراتية بين دجلة والفرات قبل الميلاد ، وكان بعضها متبديا والآخر مستقرا (١١) . فكان مركز قضاعة في الحضر (١٢) ، وكانت ربيعة وتنوخ في الجزيرة (١٣) ، والتمر بن قاسط في عين التمر (١٤) . وانتشرت تغلب من عين التمر وعانات على الفرات شمالا حتى جبل بشري،وكانت من رعاة وفلاحين (١٥) . وكان في عاشر الرقة (ريفها) قوم من العرب (١٦) . وكانت اياد في الفرات الاوسط وأطراف الجزيرة الفراتية ، ثم تحرّكت في فترة الفتوح الى الجزيرة (١٧) .

وكانت في الحيرة قبائل عربية ـ تنوخ والعباد وجماعات اخرى (الأحلاف) ، وامتدّ بعضها الى الأنبار (١٨) . ويقول الهمداني : « الأنبار والحيرة والقصر الأبيض ... وسنداد والخورنق والسدير وبارق ، محاضر العرب القديمة من حيز العراق » (١٩) . وانتشرت بكر بن وائل في البوادي المُطِلّة على السواد بين القادسية والخليج العربي (٢٠) .

هكذا وبنهاية القرن السابع للميلاد كانت مناطق الفرات الأسفل والاوسط والجزيرة الفراتية قد تَعَرَّبت لِحَدٍّ كبير .

وفي فترة الفتوح وبعدها جاءت قبائل وجماعات جديدة الى العراق ؛ فقد ارتفع ديوان البصرة مثلا من ١٠٫٠٠٠ الى ٤٠٫٠٠٠ ايام عثمان ، ثم الى ٤٠٫٠٠٠ و (٨٠٫٠٠٠ من العيالات) ايام علي ، ثم الى ٨٠٫٠٠٠ (و ١٢٠٫٠٠٠ من العيالات) في ولاية زياد بن ابيه (٢١) ، ثم الى ٩٠٫٠٠٠ (١٤٠٫٠٠٠ من العيالات) في ولاية عبيد الله بن زياد (٢٢) . وفي الكوفة ارتفع الديوان من ٢٠٫٠٠٠ سنة ١٧ هـ. الى ٤٠٫٠٠٠ سنة ٢٥ هـ. (٢٣) ، الى ٦٠٫٠٠٠ في اواسط القرن الاول الهجري (٢٤) .

ونزلت مجموعات قبليـــة ، من تميم وبكر واليمن ــ خاصة خولان وهمدان والأزد ــ الموصل في خلافة عمـــر . وتَحَوَّلت الحديثة ، على الزاب الأعلى ، الـــى قرية عربيّة بمن نزلها من العـــرب (٢٥) . ونزلت قبائل عربيـــة في سنجار وراس العين (٢٦) ، وجاءت جماعـــات كبيرة من قيس الى الجزيرة . ثـــم ان معاوية اتى بمجموعات مـــن قيس واسد واوطنهم اماكـــن ستراتيجية بين الرقة وسنجار ، كمـــا ثَبَّت ربيعة في ديارها مـــن الجزيرة (٢٧) . واستمرَّت الهجـــرة الى الجزيرة الفراتية، وادَّت الى تكوين ديـــار مضر وديار ربيعة (٢٨) . لـــذا راى مروان بن محمـــد ، آخر الامويين ، انـــه يستطيع الاستناد الى قيس في تكويـــن قُوّاته،وانتـــدب منها عشرين الفـــا (٢٩) .

ــ وكان للعوامـــل الجغرافية والبشريـــة اثرها في العراق ، فقد كان ملتقى الثقافات الســـاميّة والآريّة،اضافة الى كونـــه مهد الحضارة الساميّـــة .

كـــان سكان العراق (النبـــط) ، وهم ساميّون يتكلمون الآرامية . اما الفرس فكانوا فئة حاكمة في المدن الرئيسية (مثل طيسفون ونصيبين) ، وبينهم الملاّكون الكبـــار والجنود في الحاميات ، وجُلُّهم طردوا اثنـــاء الفتح او أُسروا (٣٠) . ولكـــنَّ بعضهم بقي في المـــدن،مثل الحيرة ونصيبين وسنجار،او علـــى الحدود الشرقيَّة للسهول ، بينما جـــاء آخرون الى المراكز الجديدة (خاصّة الكوفـــة والبصرة) . وبقي كثير مـــن الدهاقين ، وبعضهم من اهـــل البلاد (نبطا او عربـــا)،واسلموا وحافظوا علـــى اراضيهـــم (٣١) .

وكانت لفظة « نبـــط » ابتداءً ذاتَ دلالة بشرية (٣٢) ، ثـــم صارت بعدئذ مرتبطة بالفلاحة والـــريّ (٣٣) . وكان يشار للنبط عادة بـــ « اهل السواد » او « العلـــوج » تمييزا لهم عن العجـــم (٣٤) . وتتباين الروايات عن وضعهم ، بين مـــا يشير الى الشعور بالرابطـــة والكيان (٣٥) وبين الادعاء بالأصـــل الفارسي (٣٦) .

اعتُبر المسلمون النبط غير محاربين، ولم يتمرّسوا لهم في الفتح (٣٧) . يذكر المدائني أن عمر بن الخطاب « رفع الرقّ عنهم ، ووضع عليهم الخراج في رقابهم، وجعلهم أكرة الأرض » (٣٨) . وكان بامكانهم استغلال الأرض وبيعها وتوريثها ورهنها (٣٩) . واذا اسلموا أُعفوا من الجزية عادة-، ولكنهم يستمرّون على دفع الخراج . وراى عمر بن عبد العزيز ان لهم الحرية في ترك الأرض عند اسلامهم ، ولكن ارضهم تؤول الى القرية، والاّ صارت للدولة .

ومع ان النبط اعتُبروا احرارا من حيث المبدا ، الا ان المفاهيم المحلّية الموروثة التي تربطهم بالأرض والاعتبارات الاقتصادية أثّرت على وضعهم . وكانت الهجرة من الريف الى المدينة امرًا مألوفا ، بل وواسعة احيانا ؛ وهي ظاهرة ساعدت على التعريب . ومما يُذكر التعريب أن النبط ساميّون يتكلّمون لغة لها قرابة بالعربية . ولعلّ هذا يفسّر سكوت المصادر عن انتشار التعريب بينهم (٤٠) .

هناك اشاراتٌ قليلة الى موال من النبط مع انهم — عدديا — يكوّنون جمهرة الموالي ؛ ولعل ذلك يعود الى ارتباطهم بالعرب في الأصول والثقافة . فالحَجّاج ، وقد أغضبه اشتراك مجموعة من القراء في ثورة ابن الأشعث ، قال عنهم « انما الموالي علوج ، وانما أُتي بهم من القرى » ، ونفاهم الى قراهم (٤١) . وتَميّز بعض النبط في امور المال (٤٢)، مثل عميرة وحسان النبطي (٤٣) ، وفي الحرب، مثل مقاتل بن حيان . وكان لهم اثرهم خاصة على العربية في الكوفة (٤٤) .

ولقي العربُ في الفرات الاوسط (٤٥) وتَغْلِبُ في الجزيرة (٤٦) ، معاملةً مفردة ، مما يُشعِر بالتوجيه الاسلامي ، اذ كانوا احرارا في بيع اراضيهم ، وعند اسلامهم تصبح ارضهم عشرية .

كان اثر العرب في المدن والريف واسعا ؛ فقد اصبح التسجيل في الديوان محدودا زمن المروانيين ، ولم يعد مفتوحا للجميع ، وكان على الذين لا يسجلون في الديوان (وبالتالي لا يتلقون العطاء) أن يبحثوا عن وسائل اخرى للعيش ، في التجارة او الزراعة او

المهلب . يذكر المبرد ان المهلّب دَسَّ الجواسيس الى عسكر الخوارج فاتوه باخبارهم « فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد . . . » (٤٧) . ويبدو ان هذه الظاهرة عامة لا تختصّ بالعراق ، ففي اخبار حملة ابن ابي بكرة على سجستان (٦٩٩/٧٩) قاتلت جماعة متطوّعة من مذحج وهمدان (٤٨) . كما ان بعض الاعراب القادمين الى المدن، مثل البصرة، صاروا في عداد « المساكين » على اطرافها (٤٩) . هذا الى ان بعض المقاتلة بقوا في البوادي المطلّة على السواد يرعون مواشيهم وابلهم (٥٠). وتَرِدُ اخبارُ شعراء يتنقّلون بين قبائلهم في البوادي وبين عشائرها الموجودة في المراكز الحضرية، وخاصّة تميم (٥١) . وهذه الجماعات اختلطت بِحُرّيّةٍ باهالي البلاد السابقين .

والتفت العرب ، وخاصة الاشراف واهل المدن، الى امتلاك الاراضي، وحصلوا عليها بطرق مختلفة ــ بالاقطاع من الصوافي ، وباحياء الارض الموات (خاصة في منطقة البصرة) ، وبتجفيف المستنقعات (خاصة قرب الكوفة) ، وباستثمار الاراضي الخالية (٥٢) ، وبالشراء وخاصة في منطقة الحيرة حيث كان بيع الاراضي مباحا (٥٣) . وكان جَعلُ الضياع في البصرة من الارض الموات التي تم احياؤها بحفر القنوات وباستيراد الايدي العاملة (من الزنج خاصة) . وشمل الشراء اراضي الخراج على نطاق واسع، حتى ان منع بيع الارض الخراجية من قبل عمر بن عبد العزيز واخلافه لم يوقف هذا النشاط . وساعد الاحياء على توسيع الملكيات .

ادى هذا الاقبال على الارض الى ظهور ملكيات كبيرة ، بعضها يشمل قرى بكاملها . وقد ادّت هذه التطورات الى خلخلة المجتمعات القرويّة المتماسكة والى فتحها للمؤثرات الخارجية .

واعتاد العرب ان يستخدموا « وكلاء » للإشراف على ضياعهم ، وكان على الوكلاء ان يجلبوا الفلاحين الى الارض، او ان يشغلوا فلاحين من القرى المجاورة . ومما يُيسّر مهمة الوكلاء ضرب الاقطاع القديم

وحالة الفراغ الناشئة عن ذلك،مما دفع الفلاحين للتحرك الى مواطن العمل الجديدة . وقد أدّى هذا الوضع ، اضافة الى العلاقات المتزايدة بين القرى والمراكز العربية ـ وهي الاسواق الرئيسية للريف ـ ، والصلات بين القرى والقبائل في البوادي المجاورة للكوفة والبصرة ، الى انتشار العربية تدريجيا وبصورة متزايدة في الأرياف (٥٤) .

وفي مطلع القرن الثاني للهجرة بدأ العرب بالاستقرار في القرى ، وساعدت السياسة العباسية على ذلك ؛ فقد اتخذ العباسيون موقفا سلبيًّا من بعض القبائل (المضرية) منذ بداية عهدهم ، ثم انتهوا الى اسقاط العرب من الديوان أيام المأمون والمعتصم ، وهذا دفع العرب الى التوسع في الاستقرار على الأرض (في الريف) ، والى اتخاذ مِهَن اخرى . فانتشر العرب في سواد الكوفة (٥٥) ، وانتقل الكثيرون من البوادي المجاورة الى الأرياف (٥٦) ؛ وهكذا ترد اشارات الى قرى عربية (٥٧) . وفي الجزيرة الفراتية تزايد عدد القبائل العربية التي استقرت في القرى وانتشرت في الريف (٥٨) . ويشير ديونيس التلمحري البيّنات على وجود عدد كبير من القرى العربية في الجزيرة (٥٩) ، ويُشْعِر بوقوفهم الى جانب أهل الثغر المقاتلين في وجه الادارة العباسية (٦٠) ، ويشير الى حصول مصاهرات بين الطرفين (٦١) . وهذا يشير الى تغيُّر العلاقات بين العرب والآخرين ، والى توسّع التعريب ؛ وهو تطوّر بلغ مدى بعيدا في القرن الثالث الهجري،وجعل التعريب شاملا .

ويُنتَظر أن تكون العربية الدارجة في الريف فصيحة ، كما يُتوقَّع أن لا تنجو عربية القرويين من اللحن (٦٢) ، وهذا لا يمنع أن تكون لغة البعض حسنة ؛ فقد اشار الجاحظ الى أن بعض أهالي سواد الكوفة يتكلّمون عربية حسنة بألفاظ متميزة،ومع ذلك يُحِسّ السامع بأنهم نبط (٦٣) .

وكان انتشار الاسلام ، وحركة العرب ، وتنظيم الموالي ، عوامل في نجاح العربية وفي التعريب .

ترجع جذور الولاء الى الجزيرة العربية قبل الاسلام . وقد يكون اثر عرب الجنوب مُهِمًّا في تطوّر الولاء ، ولكن تراثهم لا يزال ينتظر الدراسة . فهناك اشارات في النقوش الجنوبية الى أن قبائل (سبدة) كانت تربط مجموعات اضعف بها عن طريق الحلف بسبب المصلحة لا النسب . وقد تَطلَّب استغلال الأرض ربط جماعات خارجية بالقبيلة،وأدّى الى نوع من الطبقية الاجتماعية،فهناك جماعات تستثمر الأرض (العائدة لقبيلة) لقاء جزء من الحاصل ، وهناك طبقة ادنى محميَّة تعمل لقبيلة في فلاحة الأرض (٦٤) .

أما بين عرب الشمال فان الولاء بالعتق او الحلف او الحماية كان مألوفا . وكان بامكان جماعات أن ترتبط بقبائل قوية بالحلف، ويُسمَّون موالي موالاة (٦٥) . والحلف لا يعني بالضرورة المساواة في المنزلة،مع انه قد يعني مساواة في بعض المسؤوليات (٦٦) .

هذه المفاهيم استمرت في صدر الاسلام : ففي ديوان عمر بن الخطاب جُعِلَت القبيلة ومواليها في سجل (ديوان) واحد وبعطاء واحد (٦٧) ، وفي الكوفة والبصرة حالفت الكتائب الفارسية (حمراء ديلم والأساورة) ، اضافة الى الأندغان والسيابجة ، قبيلة تميم (٦٨) . وانتقل بنو العم من الأهواز الى البصرة وحالفوا بني تميم (٦٩) .

وكان الموالي ابتداءً من أُرقّاء (اسرى حرب) اعتقوا (موالي عتاقة) (٧٠) ، ولكنَّ جُلَّ الموالي كانوا من احرار اسلموا وانتقلوا الى المراكز العربية ، واكثرهم نبط (٧١) . وبعد أن اوقف عمر بن الخطاب سبي العرب (٧٢) ، صارت كلمة « مولى » تشير الى غير العرب ، بينما تشير كلمة « حليف » عادة الى العرب (٧٣) .

واستمر الولاء بهذه المفاهيم ايام الأمويين : فقد صَنَّف عمر بن عبد العزيز الموالي الى : موالي عقد (اتفاق) وموالي رحم،وموالي عتاقة .

وكان ارتباط البعض بأمير او قائد سببا لظهور « مولي التباعة » ؛ وهو اتجاه يفسر ما فعله العباسيون بعدئذ (٧٤) .

وكان الولاء يعني « الاسلام » « والعربية » في وقت واحد (٧٥) ؛ فالأعاجم (من غير المسلمين) كانوا يَرَون انَّ مَن دخل الاسلام صار عربيا (٧٦) . وكان الموالي يتعلمون العربية ويتخذونها لغتهم ؛ ولهذا اعتبر الحَجّاج القراء من الموالي عربا (٧٧) . ويلاحظ ان بعض الموالي سُمُّوا بـ « المستعربة » (٧٨) ، وهو تعبير يطلق عادة على عرب الشمال ، جاء في اللسان « والعرب المستعربة هم الذين دخلوا فيها بعد فاستعربوا . قال الازهري : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب ، فتكلموا بلسانهم ، وحكوا هيئاتهم ، وليسوا بصرحاء فيهم » (٧٩) . ويبدو ان المصاهرات ، وكانت مألوفة قبل فترة الحجاج وراتبة في الكوفة ايام عمر بن عبد العزيز (٨٠) ، ساعدت على توسيع التعريب ، ولهذا اخترق الولاء اطار النسب القبلي ، ووسّع الاطار العربي ، وساعد على انتشار العربية .

ظهر الاسلام في بيئة مدنية ، وأكّد على مطلب العلم ، ومنه نشأت اتجاهات الدراسة الأولى في المجتمع الاسلامي . وهذه الدراسات ، مع اهتمامات العرب الثقافية الموروثة ، كوّنت الخطوط الأولية للثقافة العربية الاسلامية . واستمرّ الحال كذلك لدرجة ان النظر الى الثقافات القديمة كان عرضيًّا خلال فترة تتجاوز القرن ، وفي حين ان العربية اضطُرّت لمواجهة المفاهيم القبلية المتأصلة والشديدة بما فيها من عصبيّة ، قبل ان تستطيع تحقيق قاعدة ثقافية واسعة ، فان الاسلام كان قوة دافعة متوسعة ، وكان بشكل ما موطنا موحدا للعربية .

تركّزت الفعاليات الثقافية في صدر الاسلام في دور الهجرة — البصرة والكوفة خاصة — ، واقتصرت في الأساس على الموضوعات الاسلامية والدراسات العربية . كان هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥ هـ) يرى أن أسس الثقافة هي القرآن ، والآثار ، والحاديث العرب ، واشعارها ، وايامها ، وأنساب قريش وسائر بني نزار (٨١) .

وبدأت الفعاليات الثقافية بين العرب ، وبدرجة متواضعة ،

بين الموالي الذيـن اتقنوا العربية (٨٢) . وتأثرت هـذه الفعاليات بتيارين اساسيين : الأوّل ــ الاسـلامي ، ممثلا في الدراسات القـرآنية والحديث والفقـه والمغازي ، والثاني ــ العربـي (القبليّ) وهو استمرار لميـول سابقة ، في الشعر والايـام والاخبار والانسـاب واللغة .

ويسترعي الانتباه ان التطورات الثقافية سـارت في خطوط متوازية ومتدرجة : روايـات فردية ومحدودة ابتداءً ، ثـم حلقات من الطلبة يأخذون عن شيـخ ويضيفون ابحاثهم الى علمه (٨٣) ، ثـم تراكُم للمعرفة والدراسات يؤدي الـى ظهور مدارس محلّيّـة ، واخيرا تبادُل المعرفة والتأثير بين المراكـز او المدارس المحلّية عن طريـق الرحلات، مما ادى الى ظهور علمـاء متميزين رسموا خطوط التطور المقبـل . ويتضح هذا التطور في دراسـة الحديث والفقه والتاريخ وفي الدراسات اللغوية .

واجهت الأمـة الاسلامية الناشئة مشـاكل وحاجات مباشرة ــ منها انشاء الخلافـة ومشاكلها ، ومعاملة المغلوبين والاراضي المفتوحة ، وتطبيق المبادىء الاسلاميـة في الامصار لمواجهة الحاجات الجديـدة . وكانت هـذه النواحي بالغةَ الاهميّـة للتطور الثقافي .

لقد شهد القرن الاول للهجرة رسمَ الخطوط الاساسية لمؤسسة الخلافة، مع ما رافقها من تباين واختلاف في الاتجـاه ؛ ونشأت الاحزاب السياسية وطوّرت آراءهـا التي كان لها بعض الاثـر في الفقه (٨٤) . وظهرت آراء في الجبر والاختيار ومسـؤولية البشر عن اعمالهم ، وبـدا التنظيم الاداري والمـالي من التراث المحلّي بعد تعديله بضـوء مفاهيم اسلامية ، وكان يختلف في واقعـه بين قُطر وآخر ، ثـم عُرّب وطُوّر بالتدريج لينتهي الى إطار موحّد فـي بلاد الخلافة في اواخـر الفترة الاموية .

وفي حين ان الفعاليـات الثقافية بدأت عربية اسـلامية ولم تأخذ من الثقافات القديمـة الا في فترة تالية ، فـان الموقف من التراث الاداري والمـالي المحلّي المتباين في الاقطار اتخـذ اتجاها معاكسا ، اذ عُـرّب وطُوّر لينسجم مع المفاهيـم الاسلامية بصورة تدريجية، حتـى ادخل اخيرا في النطاق الاسـلامي الثقافي والحضاري .

ارتبطت الفعاليات الثقافية بالحاجات الناشئة ؛ فالمدارس الاسلامية الاولى تتصل بالقرآن ، اذ حاول القراء ان يعلّموا الناس القراءة الصحيحة،وان يُبَصّروهم بالمفاهيم الاسلامية (٨٥) . بَعَثَ عمر بن الخطاب بعض الصحابة الى الأمصار (مثل ابن مسعود في الكوفة وأبي موسى الاشعري في البصرة) ليعلّموا الناس القرآن والسنة (٨٦) . قال اهل الكوفة لابن مسعود : « جُزِيتَ خيرا فقد علّمتَ بأهلنا وثَقّفتَ عالمنا،وأقرأتنا القرآن،وفقّهتنا في الدين » (٨٧) . ويُرْوَى الكثير عن تلاميذ ابن مسعود وعن نشاطهم في الكوفة ، اذ كانوا « يُسْرِج هذه القرية (الكوفة) » كما قال سعيد بن جبير (٨٨) . وقد نالوا منزلة اجتماعية عالية بسبب تقواهم وحرصهم على رسالتهم (٨٩) . وشاركوا في الحياة العامة وفي الاحداث الكبرى من ايام عثمان الى ثورة ابن الاشعث (٩٠). وكانوا يدافعون عن المبادىء الاسلامية،وعن العدالة الاجتماعية . وانضمّ اليهم بعض الاشراف ، وتزايد عدد الموالي بينهم (٩١) ، ولعلّ هذا يوضح سبب الارتباك في بداية ظهورهم . وتُشير فعالياتهم بالصلة الوثيقة بين النشاط الثقافي وبين الحياة العامة .

وشهد جيل التابعين بين القراء قضاة ، واصحاب فتيا (٩٢) ، وعلماء (٩٣) ، وفقهاء (٩٤) . يقول ابن سعد،« ثم كان التابعون بمن اصحاب رسول الله من ابناء المهاجرين ؛ والانصار وغيرهم فيهم فقهاء وعلماء،وعندهم رواية الحديث والآثار والفقه والفتوى » (٩٥) . وشملت دراساتهم الحديث والنحو والتفسير والفقه (٩٦) .

وكان دور القراء والعلماء والقضاة مُهِمًّا لتطوّر الفقه وبجنب الاعتماد على القرآن رجعوا الى السنة ؛ ويشير الى سنّة الرسول في فترة مبكرة . ثم ان المشاكل الجديدة في الامصار ادت الى الاجتهاد بالرأي منذ زمن الراشدين (٩٧). وواضح ان تنظيم الخلافة ومعاملة البلاد المغلوبة تطلّبت الاجتهاد والرأي . وبالاضافة الى ذلك كان هناك الاتجاه الى اعتماد المفاهيم والقيم الاسلامية في مختلف نواحي الحياة،والى تطويع العرف المحلي ليلائم الاسلام .

وقد لجأ الصحابة الى الاجتهاد بصورة فردية او بالشورى ، وصارت اقوالهم جزءا من الآثار ، كما كان للتابعين رايهم واجتهادهم . وأدى الوضع في الحديث الى تحديد استعماله من قِبَل البعض ، بينما لجأ آخرون — مع التشدّد في النقد — الى الآثار . وكان الراي يعطى بالقياس او وفق متطلبات المصلحة . ونشأ خَطّان في الفقه : فقه الراي وفقه الاثر ، وذلك بضوء التوسّع في استعمال الراي او تقييده . ولم يكن التقسيم يستند الى قاعدة جغرافية (الكوفة — المدينة) بل الى الوجهة الخاصة بالفقيه (٩٨) .

وأدّى التباينُ في الظروف المحلية ومدى الاخذ بالراي او الاستناد الى الحديث والآثار الى ان تظهر بصورة تدريجية سنن محلية او طرق « عمل » . وتطورت هذه البدايات المحلية بعد فترة ليخلفها الاجماع بمفهومه العامّ وليكون اصلا آخر من اصول الفقه .

وقد ادت الجهود الجماعية والمتكاملة للعلماء الى قيام مدارس فقهية في العقود الاولى من القرن الثاني للهجرة . ويسترعي الانتباه انه لا توجد خلافات اساسية بين هذه المدارس في المبادىء او الطريقة . وعلى العموم فان الرجوع للراي كان اوسع في العراق ، بينما كان التأكيد على الحديث اقوى في المدينة . وتَمَيَّز بعض العلماء بدراساتهم الواسعة وبعلمهم في المدارس (المراكز العلمية) مثل ابراهيم النخعي (٩٦/٧١٥) وحماد بن ابي سليمان (١٢٠/٧٣٨) في الكوفة ؛ والزهري (١٢٤/٧٤١) وربيعة الراي (١٣٦/٧٥٣) في المدينة ، وكان دورهم بداية التطور الذي ادى الى ظهور ائمة المذاهب (ابو حنيفة ، مالك ، الشافعي ، احمد بن حنبل) . وهذا التطور من الدراسات المشتركة المتكاملة (في المدارس) الى قيام ائمة (في الفقه) — وهو اتجاه يظهر ايضا في حقول ثقافية اخرى — يُشْعِر بنضج المدارس الفقهية ، مما ادى الى ظهور المذاهب بطلوع القرن الثالث للهجرة (٩٩) .

وبدأت دراسة حديث الرسول (ص) في فترة مبكرة بين الصحابة ،

ثم شملت الدراسة آثار وسنن الصحابة . وكانت التطورات والحاجات الجديدة سببا لذلك ، كما ادت هذه الى الوضع في الحديث ، فالمصالح السياسية والحزبية والمحلية والمذهبية وجدت مجالا في وضع الاحاديث ، وادى الوضع بدوره الى التدقيق في نقد الحديث ، وهو تدقيق بدأ في المتن وتركز تدريجيا وبمرور الزمن على الاسناد ، وجاء علم الجرح والتعديل مثلا رائعا للتدقيق والحيطة والتوثيق .

وكان الاهتمام بجمع الحديث مبكرا زمن الصحابة والتابعين في صحف وأجزاء وتلا ذلك « تقييد » الاحاديث في الصحف والروايات في أواخر القرن الاول وأوائل القرن الثاني للهجرة ، ثم بدأ « التصنيف » أو جَمعُ الاحاديث حسب الموضوعات لفائدة المشتغلين بالفقه وذلك في الربع الثاني للقرن الثاني للهجرة . وأدّى حرص المحدثين على أحاديث الرسول (ص) الى عمل مجموعات للحديث مرتّبة حسب رواتها من الصحابة من أواخر القرن الثاني للهجرة ورافق ذلك تأكيدٌ خاصّ على الاسانيد . ومما يلاحَظ انّ كُتُب الطبقات الأُولى جاءت من نفس الفترة . وأخيرا ، وخلال القرن الثالث للهجرة ، وُضعت الجامع الاكثر شمولا وتدقيقا ، وهي كتب الصحاح ، ونُظّمت على فصول الفقه (١٠٠) .

وأُستُخدِمَت الكتابة لحفظ الحديث جنبَ الرواية الشفوية ، وقد عرف الزهري بكتابة الحديث (١٠١) . وجاءت المجموعات الاولى للحديث من الثلث الثاني للقرن الثاني للهجرة ، وهي نفس الفترة التي جاءت منها المؤلفات الاولى في التاريخ (١٠٢) .

بدأ التفسير مبكرا في قراءة القرآن وكان على صلة وثيقة بعلم الحديث . وكانت المحاولات الاولى في الاساس شروحا لغوية للنصوص ، واشارات الى ظروف نزول الآيات . وقد افيد من الشعر (الجاهلي) لتوضيح بعض الكلمات ، كما استند التفسير الى المأثور ـ حديث الرسول (ص) واقوال الصحابة (١٠٣) .

وتَطَوَّر التفسير بسرعة في عصر التابعين ، وأَخَذَ بعضُهم بالراي اضافة الى الآثار والشروح اللغوية ، ورجع البعض الى اهل الكتاب لتوضيح بعض الاشارات القرآنية ، فتسربت الاسرائيليات، واثارت شيئا من الشكّ والتحفّظ (١٠٤) . وهكذا بدت بوادر اتجاهين في التفسير : التاكيد على المأثور ، والرجوع الى الراي .

وقد أهتَمَّ بالدراسات القرآنية جماعاتٌ لهم اتجاهات دراسية مختلفة ، اذ نرى القراء واللغويين والمحدِّثين يشتغلون بالتفسير . وقد اسهم بعض القراء، مثل نصر بن عاصم (٨٩ هـ/٧٠٧ م.) ويحيى بن يعمر (١٢٩ /٧٤٦) وبعضُ اللغويين، مثل عيسى بن عمر الثقفي (١٤٦/٧٧٦) وابي عمرو بن العلاء (١٥٢/٧٧٠) في التفسير .

واستُعمِلَت الكتابة في التفسير زمن التابعين ، وَوُضِعَت تفاسير من اواخر القرن الاول (مجاهد ١٠٤/٧٢٢ ، قتادة ١١٨/٧٣٦ ، عطاء الخراساني ١٣٣/٧٥١) .

واسمت التفاسير من اواخر القرن الثاني بصورة عامَّة بطابع الجمع ، واحتوت على موادّ تاريخية وفقهية ولغوية . كما وُضِعَت في هذا القرن تفاسير لغوية لها اهمية خاصة، مثل مجاز القرآن لابي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠/٨٢٥) ومعاني القرآن للفراء (٢٠٧/٨٢٢) .

ولجأ المعتزلة الى الراي في التفسير (منذ القرن الثاني) مستفيدين من المواد اللغوية . ووضع المحدِّثون — الذين تحوي مجموعاتهم في الحديث عادة على قسم في التفسير — تفاسير منذ النصف الاول من القرن الثالث الهجري، معتمدين على الآثار بالدرجة الاولى .

وهكذا ظهر خَطّان واضحان في التفسير : التفسير بالآثار ، وهذا بلغ قمته في تفسير الطبري (٣١٠/٩٢٣) ، والتفسير بالراي، الذي بلغ درجة عالية في الكشاف للزمخشري (٥٣٨/١١٤٣) (١٠٥) .

ـ ازدهر الشعر خلال القرن الاول الهجري ، وتأثر بالاوضاع السياسية والاجتماعية الجديدة في المراكز الجديدة ، كما تأثر بالمفاهيم والقيم الاسلامية . ومع ان الكثير من الشعر ينطوي على استمرار للشعر القديم في الاسلوب والاخيلة ، فان موضوعات جديدة ظهرت بالاضافة الى النظرات والمنطلقات الجديدة (مثل الشعر الاسلامي ، شعر النقائض ، الشعر السياسي ، شعر الغزل) ؛ هذا الى وجود الشعر الحضري جنب شعر البادية ؛ كما ان تطورات جديدة حصلت في الاسلوب . وجاءت حركة التجديد الشعرية في العصر العباسي الاول بشعر اكثر رقة واعلى ثقافة ، واكدت على موضوعات جديدة . ومع هذا بقي للشعر القديم منزلة رفيعة في عالم النظم (١٠٦) .

خرج العرب من الجزيرة بلُغَةٍ راقية وشعر رائع وتراث حضري جنوبي . وكانت للقبائل لهجاتها (لغاتها) ولكنَّ سكناها مجتمعةً في المراكز الجديدة ادت الى ظهور عربية مشتركة فيما تفاضلوا . يقول الجاحظ : « واهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف في الفاظ من الفاظ اهل الكوفة والبصرة والشام ومصر » (١٠٧) . ولكنَّ القرآن الكريم اعطى المثال للعربية في الكتابة ، واعطاها وحدةً واستمرارًا عبر العصور .

وبدأت الدراسات اللغوية في فترة مبكّرة ، وهي تُشير بالحرص على قراءة القرآن بصورةٍ صحيحة،والحماس لنقاء اللغة العربية . لقد أُستُعمِلَت العربيةَ اعدادٌ متزايدة من الموالي،وتعرَّضت لِلَّحن . واختلط العرب بالاعاجم في الامصار ، كما مُتِحت بيوتهم للسبايا ، مما اثَّر في لغة الكثيرين (١٠٨) . ويُتَّخذ اللحن مظهرة واضحة في قراءة المصحف ؛ وهي مشكلة تعرَّض لها حتّى البعض من الاعراب . جاء في رسالة لعثمان تخوُّفه من الابتداع « بعد اجتماع ثلاث فيكم ؛ تكامُل النعمة،وبلوغ اولادكم من السبايا،وقراءة الأعراب والاعاجم القرآن » (١٠٩) .

بدأ اللحن في اواسط القرن الاول للهجرة وانتشر في فترة التابعين ، وادى الى زَرْعِ مَثَلٍ قويّ في الدوائر العربية وبين بعض الموالي المتعربين، لحماية العربية وللحفاظ على صفائها . يُبيِّن الزبيدي ان ظهور الاسلام ودخول الناس فيه وكثرة من وُجد تحت لوائه ادّى الى ان « اجتمعت فيه الالسنة المتفرقة واللغات المختلفة،ففشا الفساد في العربية . فَعَظُم الاشفاق من فُشُوِّ ذلك وغَلَبَتِه ، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم الى ان سَبَّبوا الاسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه،وتثقيفها لمن زاغت عنه » (١١٠) . كل ذلك اوجد دافعا قويا للدراسات العربية (١١١) .

وترتبط بدايات النحو اولاً بقراءة القرآن ؛ فقد أُحدِثَت نُقَط لتمييز حركات الاعجام في القرآن مِن قِبَل ابي الاسود الدؤلي (٦٩هـ/ ٦٨٨ م.) ، ولذا يُنْسَب اليه وضع النحو . ويعود الى الفترة ذاتها وَضْعُ النقاط لتمييز الحروف المتماثلة،لضمان القراءة السليمة (١١٢) .

وكان رُوّاد علم النحو،من يحيى بن يعمر (١٢٩/٧٤٧) وعبد الله بن ابي اسحق الحضرمي (١١٧/٧٣٥) الى الكسائي (١٨٩/٨٠٥) قُرّاء (١١٣) ؛ فَفَهْمُ القرآن يَعني معرفة جيدة بلغته وبإعراب نصوصه . يقول الذهبي عن الكسائي : « وكان من اهل القراءة،وهي كانت علمه وصناعته » (١١٤) .

ونظر البعض الى اللغة على انها في الاساس تواضُعٌ واصطلاح ، بينما ذهب البعض الآخر الى انها توقيف ؛ وهما وجهتان متدرجتان، تعبّران عن نظرتين في النحو ؛ فقد كان السماع من اسس الدراسات اللغوية ، كما أُعتُبِر القياس مع التعليل قاعدةً اخرى في النحو . وكان لكلٍ من الاتجاهين مؤيدون في البصرة (١١٥) . ثم ساد القياس في البصرة (مهد النحو) والسماع في الكوفة . ويبدو ان بيئة الكوفة العربية الاسامية في الاساس اقرب الى الاتجاه الى السماع والسليقة ، أما بيئة البصرة التجارية المختلطة فانها تطلّبت قواعد اكثر تحديدا لفهم اللغة . اكدت البصرة على القياس لوضع قواعد

عامة،امـــا الشواذ فانها سُجِّلت وأُهمِلت ؛ وامـــا الكوفة فانها رأت في أن يُسارَ وفـــق السماع،وتجوَّزت في وضع القواعد الى حـــدّ الاستناد الى النوادر عنـــد الحاجة (١١٦) . وقد ورثت بغـــداد المدرستين ، واكنها كانت أميل الى الاتجاه الكوفي . واخيرا تفوَّق الاتجاه الى السماع على وجوه القياس،وانتصرت بذلـــك المحافظة . وهذا يثير الســـؤال عن مدى تأثير القراءات المقبولـــة في تفوُّق السماع (١١٧) .

وسارت الدراســـات اللغوية الى جنب دراسة النحـــو ؛ فالحاجة الى فهم القـــرآن ، والحديث احيانا ، دعت الـــى الرجوع للشعر والى عربية البادية . ذهـــب اللغويون الى البادية،الى الاعراب الفصحاء (وجاء بعض هـــؤلاء الاعراب الى المـــدن) للأخذ عنهم (١١٨) . وكانوا ـــ وخاصة البصريون ـــ حذرين في بحثهـــم عن العربية السامية ، ولـــذا تجنَّبوا في الغالب القبائـــل التي تأثرت بأهل الحواضر القريبـــة . ومع أن تأكيد الروايات علـــى الأخذ من الاعراب البادين لا يخلـــو من مبالغة ، فان هذا الأخـــذ في عامَّته ادى الى تسجيل مـــا يتّصل اساسا بالحياة البدويـــــة .

كان أبـــو عمرو بن العلاء (١٥٤/٧٧٠) شيخ الدراســـات اللغوية في عصره ، يُعرَف بانـــه اعلم الناس بالعرب وبلغتهـــم،وبالشعر والايام، وبالقـــرآن . وكانت « عامة اخباره عـــن أعراب قد ادركوا الجاهلية » . وكان اثره كبيرا في إعداد طلبة نابهين من الجيل التالي (١١٩) . وقامت البصرة واسمة ومركزة على يـــد الجيل التالي في البصرة ، وتَميَّز بينهم ثلاثـــة من تلاميذ ابـــي عمرو بن العلاء : ابو عبيدة معمر بن المثنـــى (٢١١/٨٢٦) وأبو زيـــد الانصاري (٢١٥/٨٣٠) والاصمعـــي (٢١٧/٨٣١) ، وهؤلاء افادوا في بحوثهـــم من اساتذة آخرين ومـــن ثقات الأعراب ، حتى قيل فيهم : « عنهم أُخِـــذ ما في ايدي الناس من هـــذا العلم،بل كلُّه » (١٢٠) . وكان اعلام المدرســـة اللغوية في الكوفة الكسائي (١٨٩/٨٠٥) والفـــراء (٢٠٧/٨٢٢) والمفضل الضبي (١٧٠/٧٨٦) وابن الاعرابي (٢٣١/٨٤٤). وهكذا نضج هذا الاتجاه في الدراسات في اوائل القرن الثالث للهجرة (١٢١) .

وكانت المجموعات الاولى للكلمات عفوية دون خطّة . ثم تلتها مجموعات تدور حول موضوع او مادة . واخيرا جاء الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥/٧٩١) بفكرة اول مُعجم (العين) ، وتحقّقت فكرته على يد تلميذ له، وربما بمشاركة آخرين . وسار علماء اللغة بعده على خطته، الى ان وضع الجوهري (٣٠٨/١٠٠٧) خطة اخرى (١٢٢) .

جاءت القبائل بلهجاتها (لغاتها) الى المراكز الجديدة (١٢٣) ؛ وهذا اكسب العربية حيوية وغنى . ثم ان استعمال العربية على نطاق واسع بين غير العرب ، والاختلاط في البيئات الجديدة، وتطوّر الحياة في المدن، ترك آثاره وأدّى بالتدريج وبين الطبقات الدنيا الى ظهور عربية للتخاطب تتّصف بالبساطة، ولا تلتزم بقواعد النحو (١٢٤) ؛ وبدا ذلك بوضوح في اواخر القرن الأول . ومع ذلك فان الحَجّاج كان يرى ان دُور الهجرة (الكوفة ، البصرة) هي « موضع الفصاحة والاعراب » . واثنى بحفل على اهل واسط لفصاحتهم ، وعَلَّلَ ذلك بأن الحجاج « كان لا يدع احدا من اهل السواد يسكن واسطا » (١٢٥) .

وفي القرن الثالث الهجري ، والعربيّة لغة الثقافة ، كانت الفصاحة ما تزال تُقْرَن بعربية الاعراب الأقحاح . وبجنب هذه اللغة يشير الجاحظ الى لغة المولدين والبلديين بتركيبها واعرابها (١٢٦) . وعلى كلٍّ، فبالاضافة الى لغة التخاطب اليومية ، التي لا تخلو من لون محلي ، صارت العربية لغة الحضارة، وفيها المرونة التي تتطلّبها الحاجات الثقافية والحضرية . ومع ذلك استمرّت الجهود للحفاظ على صفاء اللغة، وعلى جعل النحو اداة فعالة تُمكّنُ الجميعَ من اتقانها عن طريق التعلم (١٢٧) .

وبدأت دراسة التاريخ وكتابته في خَطّين — اسلامي وقَبلي : ففي المدينة اتجهت الدراسات التاريخية الى المغازي والجماعة الاسلامية الاولى، ثم شملت تاريخ الأمة . وفي الكوفة (ثم البصرة) اتجهت الدراسات الى نشاط الخلافة، والى فعاليات القبائل وشؤون الامصار .

وكان المحدّثون روّاد المغـــازي،في حين نهض الأخباريون بالدراســـات التاريخية في الكوفـــة ، وشارك فيها لِحَـــدٍّ ما بعض النسّابين واللغويين .

تناول الأخباريّون فـــي دراساتهم كلَّ جوانب التاريخ الاســـلامي في كتب يتعلق كـــلٌّ منها بموضوع او بفترة . وبينمـــا يلاحظ اسلوب المحدّثين في التدقيـــق والاسناد في كتابة المغـــازي،فان الاخباريين يشعرون باستمرار نواحي الاهتمـــام القبلية،وباثر اسلـــوب قصص الايام . وكان عروة بـــن الزبير (٧١٢/٩٤) رائـــد مدرسة المغازي،واستقرّ سيال السيرة على يـــد تلميذه الزهري (٧٤٢/١٢٤) بينما كَتَـــب الاخباريون في الجيـــل التالي لـــه .

وهكذا نشأت الدراســـات التاريخية في الاســـلام،وتباورت في ظلال الثقافة العربية الاســـلامية . اما الترجمات لِسِيَرِ الملوك مـــن الفهلوية ، والأُخذ مـــن الاسرائيليات،فانها أدخَلَت مـــادة ضـــيفة الى الدراسات التاريخية،ولكنها لـــم تأت بفكرة او بمنهـــج .

وشـهد القرن الثالـــث الهجري تبادل التاثير بـــين مدرستي التاريخ في المدينـــة والكوفة،في الاسلوب والافـــق والمفاهيم التاريخية ، ويلـــي ذلك ظهور المؤرخـــين الكبار بعد منتصف هذا القرن ، وهـــم يمثّلون قمـــة التطور في الدراسات التاريخية فـــي فترة التكوين (١٢٨) .

وكانت الصلات بالثقافـــات الاخرى شفوية ومحدودة : فهنـــاك الاسرائيليات ، وبعض اللاهوت المسيحي ، وبعض الاقـــوال التلمودية التي تسرَّبت عـــن طريق الداخلين في الاســـلام ، اضافة الى قليل من الهلنية . واثيرت اسئلـــة عن حرية الراي،والصفات الالهية،وخَلْق القـــرآن . ولا يخفـــى أن مسالة حريـــة الارادة والاختيار ـــ كما في كثير من القضايـــا الاساسية ـــ بدات كمشكلة سياسية فـــي العصر الاموي ، ولكن الاتصال قـــد يترك بعض الاثر . ويلاحَـــظ تَسَلْل بعض الآراء الدينية الفارسية في بيئـــة الكوفة عن طريق بعض المسلمين الجدد ، وهذا يلحظ عنـــد الغلاة . ولكن هذه الصلات كانـــت اولية،ولا يوجد ما يدل على اقتباس متعمَّـــد الا في الحاجات المـــادية .

وأدّى تعريب الدواوين زمن الأمويين (من ايام عبد الملك بن مروان الى ايام هشام بن عبد الملك) الى إغناء العربية ، وساعَدَ على ان تصبح لغة الثقافة للمسلمين وغيرهم . وقد فتح التعريب الباب للشعوب الاخرى في المجتمع الاسلامي للمساهمة في الثقافة وتأكد ذلك بعد الثورة العباسية .

وكان للتراث المحلّي ، الاداري والمالي خاصة ، اثره ؛ وكان للمسلمين ان يأخذوا ما يرون ما دام لا يتعارض والمفاهيم الاسلامية . وقد ادخل المسلمون عليه ابتداءً تعديلاتٍ بضوء المبادىء الاسلامية ، ثم طَوّروه وعرّبوه،واخيرا تمثّلوه في مجرى الحضارة العربية الاسلامية .

وان وُجِدَت اشارات الى بدايات اولية وفردية للترجمة زمن الامويين ، فان العباسيين نَظّموا الترجمة وشجّعوها في العلوم والطب والفلك،واخيرا — من اواخر القرن الثاني — في الفلسفة . وهذه الترجمات ام تُدخِل عنصرا غريبا غير مؤتلف في الثقافة،عدا الفلسفة التي تضمّنت احيانا آراء ومفاهيم لا تنسجم والمبادىء الاسلامية . وحاول العلماء المسلمون أن يفيدوا من المنطق اليوناني،وان يوفقوا بين الفلسفة والاسلام في الشكل والمضمون .

وهناك خَطٌّ آخر للترجمة — عن الفهلوية بالدرجة الاولى — تَبنّاه الكُتّاب وبعضُ رجال الأدب ، وشمل مؤلفاتٍ ادبيةً وتاريخيةً ودينية . وكان لهذه الترجمات بعض الاثر في الآراء وفي بعض الحركات الدينية السياسية الخارجة ، وكانت تتّصل بالصراع الثقافي مع الشعوبية . وربما كان للاحتكاك والصراع الثقافي اثرٌ في تجديد الاهتمام بالتراث الادبي العربي،وفي تأكيد جديد على العربية وصلتها بالاسلام،وفي تجديد التأكيد على العربية اساسا للمروءة .

وفي هذه الفترة لم تَعُد الرسالةُ الدينية التي حملها العرب ابتداءً قاصرةً عليهم،بل شاركهم فيها المسلمون مختلف الشعوب ، واصبحت رسالة العرب ثقافية حضارية .

(١) انظـر :

N. Pollak - L'Arabisation de L'Orient Sémitique, R. E. I. 1938, pp. 35-63

W. Marçais - Comment L'Afrique du nord a été Arabisee, Articles et Conferences (Paris 1961) pp. 171 - 192 ;

R. Blachere - Regards sur L'acculturation des Arabo - Musulmanes, Arabica, III, pp. 247 - 65.

(٢) الشيباني ـــ السير ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ص ٦٤ ـــ ٦٥ .

(٣) الطبري ـــ تاريـــخ ، س ١ ، ص ٢٨٦٠ . البلاذري ـــ أنساب الاشراف ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١١٤ . قـــال الاحنف بن قيس اثناء الفتنـــة في البصرة سنة (٣٦هـ) رداً على اقتراح الغضبان القيسي بـــأن تترك تميم البصرة « ايسا خروجنا من المصر الذي لا ندع مهاجرنا ومركزنا وفيء اللـــه علينا فنتعرب بعـــد الهجرة » . وجاء في لســـان العرب : « وكان من يرجع بعـــد الهجرة الى موضعه ، يسمى غير مقر ، وعودته كالمرتـــد » ، مـــادة « عـــرب » .

(٤) المبـــرد ـــ الكامل (باعتناء أبي الفضل ابراهيم وشحاتـــه ، القاهرة ١٩٥٦) ج ١ ، ص ١٤١ .

(٥) يقول ابن سعـــد عن الزبرقان بن بدر ، الـــذي ثبت على الاسلام خلال الردة : « وكان ينزل أرض بنـــي تميم ببادية البصرة ، وكان ينزل البصرة كثيرا » . ويقـــول عن الاقرع ابـــن حابس « وكان ينزل أرض بنـــي تميم ببادية البصرة » . الطبقات ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٢٤ .

(٦) في ابن سعـــد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٣٩ : « سمعت أبـــي يقول : لقاني رســـول اللـــه ، أو سمعت رسول اللـــه (ص) ينهى عن النشادة ، فمـــن اقام ببلاد الخراج فقد تنـــا ، فانا اكره أن اقيـــم » .

وجاء في اللســـان : « من تنا في أرض العجم فصل نيروزهم ومهرجانهم مع عجمهـــم » ، مادة « تنا » . وانظـــر : حلية الاولياء .

(٧) البلاذري ـــ أنســـاب ، (خـــط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ ، ص ١٢٢٥ .

(٨) انظر : رســـائـــل الجاحظ (تحقيق عبـــد السلام هارون) ، ج ١ ، ص ١٠ ـــ ١١ .

(٩) الطبري ، س ٢ ، ص ١٥٠٥ ـــ ٦ .

(١٠) البلاذري ـــ أنســـاب (خـــط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ .

(١١) في طور عابدين وآمـــد وراس العين وسنجار والرهـــا .

(١٢) انظـــر : Dillemann - Haute Mesopotamie Orientale (Paris 1962) PP. 34 - 5, 88 - 9 .

الطبري ، س ١ ، ص ٨٢٧ ؛ الاغاني ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ـــ ١ .

البكري ـــ معجـــم ما استعجم (باعتناء الســـقـــا ، القاهرة ١٩٥٤) ج ١ ، ص ٢٢ .

(١٣) الطبري ، س ١ ، ص ٢٤٨٩ ، ص ٢٥٠٥ . البكري ـــ معجم ، ج ١ ، ص ٢٣ ـــ ٤ . ابـــن اعثم ـــ الفتوح ، ج ١ ، ص ٨٨ ـــ ٨٩ ،

Musil - Middle Euphrates (New york 1927), p. 285

(١٤) البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٤٨ ، وانظـر : ص ٢٤٩ .

(١٥) الهمداني ـ صفة جزيرة العـرب (باعتناء الاكوع ، دار اليمامـة) ، ص ٧٠ ، ص ٢٧٥ ، ص ٣١٩ . البكري ـ معجـم ، ج ١ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ . البلاذري ـ فتوح ، ص ١٨٢ ، Musil, op. cit., p. 312.

(١٦) البلاذري ـ فتوح ، ص ١٧٧ .

(١٧) البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٦٩ ـ ٧١ ، E. I-Bakr b. Wail (٥)

(١٨) الطبري ، س ١ ، ص ٨٢١ ـ ٨٢٢ ، ص ٢٤٩ . وانظـر : س ١ ، ص ٧٢٤ ، ص ٧٤٧ عـن قدم العرب في العراق ، البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٥٢ ـ ٥٣ . هذا المخالة السيجامة من بكر بن وائل ، المبـرد ـ الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(١٩) الهمداني ، ص ١٤٩ .

(٢٠) البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٨٥ ـ ٨٦ . ابن اعثم الكوفي ـ فتوح ، ج ١ ، ص ٨٨ ـ ٨٩ . ويذكـر الهمداني انها تمتد من الابلة الـى هيت ، ص ١٦٩ . وكان امارة مسبين (ميسـان) عند مصب دجلة يحكمها عرب واقدون مـن عمان وذلك قبل قيـام الحيرة . كرستنسن ـ ايران زمـن الساسانيين ، ص ٧٥ . وانظـر : Musil, op. cit., p. 285. E. I (٥) Bakr Ibn Wail

(٢١) الجاحظ ـ البيان والتبيين (باعتناء ، عبـد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٠ ـ ١) ، ج ٢ ، ص ١٣٠ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٤٨٨ ، انسـاب ، ج ٤ ق ١ ، ص ١٩٠ ، ص ٢٠٢ . الطبري ، س ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٢٢) الطبري ، س ٢ ، ص ٤٣٤ . البلاذري ـ انسـاب ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ١١٦ .

(٢٣) الطبري ، س ١ ، ص ٢٨٠٤ .

(٢٤) ن. م. ، س ١ ، ص ٢٨٠٥ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٣٥٠ . ياقوت ـ معجـم البلـدان ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .

(٢٥) البلاذري ـ فتوح ، ص ٣٣٤ . الازدي ـ تاريـخ الموصل (باعتناء علـي حبيبة ، القاهرة ١٩٧٦) ج ٢ ، ص ١٨٣ ، ص ٢١٣ ـ ٢١٥ ، ص ٣٣٢ ، ص ٣٥٠ . ياقوت ـ بلـدان ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .

(٢٦) البلاذري ـ فتوح ، ص ١٧٧ .

(٢٧) ن. م. ص ١٧٨ . ياقوت ـ بلـدان ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

(٢٨) الهمداني ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ . الازدي ـ تاريـخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٢٩) الطبري ، س ٢ ، ص ١٨٧٤ .

(٣٠) يذكر البلاذري مثلا الـى مسالح او حاميات في الابلـة والخريبة والمذيب وعيـن التمر وعلى اطراف الفـرات الاوسط ، فتوح ، ص ٢٤٢ ـ ٣ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٥٤ ـ ٥ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٧٦ ـ ٧ ، ص ٣٤١ . وانظـر : ابن سعد ،

ج ٧ ، ق ١ ، ص ٧٧ ، ص ١٢١ . ابـو يوسف ـ الخراج (بولاق ١٣٠٢) ، ص ٨٣ ـ ٤ . المسعودي ـ مروج ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ ـ ١ .

(٣١) الصولي ـ ادب الكتّاب ، ص ٧٥ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٦٥ . يحيى بن آدم ـ الخراج ، ص ٤ . ابـو يوسف ـ الخراج ، ص ٨٥ .

(٣٢) المسعودي ـ التنبيه والاشراف ، ص ٣٨ . ابـو يوسف ـ الخراج ، ص ٢٢ .

(٣٣) تـاج العروس ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ ـ ١ (نبـط) ، ويسمون ايضـا الكلدانية . ياقوت ـ بلـدان ، ج١ ، ص ٢٤٧ ـ ٨ ، ج ٣ ، ص ١٧٥ . المسعودي ـ مروج ، ج ٢ ، ص ٩٥ ومـا بعدها .

(٣٤) انظـر : يحيى بن آدم ـ الخراج ، ص ٥٧ ـ ٩ .

(٣٥) ن. م. ص ٢٢ ـ ٢٣ . ابـن وحشية ـ الفلاحة النبطية (مخطـ ـ مكتبة احمد الثالث ، رقـم ١٩٨٩/١) ، ص ١ ـ ٢ .

(٣٦) المسعودي ـ التنبيـه ، ص ٣٩ .

(٣٧) يحيى بـن آدم ـ الخراج ، ص ٢٢ ، ص ٤٨ . بحشـل ـ تاريخ واسط (باعتناء : كوركيس عـواد ، بغداد ، ١٩٦٧) ، ص ٣٩ ـ ٤٠ . الطبري ، ص ١ ، ص ٢٠٢٦ ، ص ٢٠٢٨ ـ ٩ ، ص ٢٠٣١ ، ص ٢٠٣٦ .

(٣٨) العسكري ـ الاوائل ، ص ١٣٦ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٢٦ ومابعدها . وانظر : ابـو عبيد ـ الاموال ، ص ١١٣ ومـا بعدها . الطبري ، ص ١ ، ص ٢٢٧٠ .

(٣٩) يحيى بـن آدم ، ص ٤٥ ، ص ٥١ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٤٢ ـ ٣ . ابـو عبيد ، ص ٨٢ ـ ٨٣ . قدامة بـن جعفر ـ كتاب الخراج (باعتناء : دي غوية) ، ص ١٤٥ .

(٤٠) ذكـر وكيع ان داود الطائي تكلم امام الحجاج فقال لـه الحجاج : « انكم يا معشر عربـي ، والوجه وجـه نبطي » مما يشعر بـأن تمييز من يسلم من النبط لم يكن مألوفـا . اخبار القضاة ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(٤١) انظر : المبـرد ـ الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .

(٤٢) انظر : تـاج العروس ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، والبلاذري ـ فتوح ، ص ١٧٦ . ويصف سعد بـن ابي وقاص بأنه « نبطي في جبابته » .

(٤٣) كان عميرة كاتـب اشرس بن عبد اللـه امير خراسان سنـة ١١٠ هـ نبطيا . انظر : البلاذري ـ انسـاب (خـط) ق ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٤٤) انظر : رسائـل الجاحظ (تحقيق عبـد السلام هارون) ج ١ ، ص ٦٦ .

(٤٥) اعتبرت أراضـي الحيرة وبانقيا واليس ارض صلح ، وكان اهل هذه المدن يدفعون جزية مشتركة فقـط . انظر : البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٤٢ ـ ٤ . ابـو عبيد ـ الاموال ، ص ٣٩ ـ ٤٢ ، ص ١١٦ ـ ١١٨ . يحيى بـن آدم ، ص ٥٠ . واتبع نفس الاجراء مع عـين التمر ، البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٤٨ .

(٤٦) كانت تغلب تدفع ضعف الصدقة ، ابـو عبيد ، ص ٣٩ ــ ٤٢ .

(٤٧) المبرد ــ الكامل ، ج ٣ ، ص ١٠٦٢ ــ ٣ . ويشير البلاذري الى نساج من بني سايم في الكوفة قال : « وان ما شهدت مسكرا قط ولا اثبت اسي اسم قط في ديوان ، وانما انا نساج » انساب (خط) ق ٢ ، ص ٣ .

(٤٨) البلاذري ــ انساب (خط) ق ٢ ، ص ١٦ . وانظر : يحيى بن آدم ــ الخراج ، ص ٢٠ .

(٤٩) البلاذري ــ انساب (خط) ق ٢ ، ص ٣ ، ص ٨٢٢ . الطبري ، س ٢ ،ص ١٦٨٣ ــ ٤. ديونيسيوس التلمحري (الترجمة الفرنسية) ، ص ٩٣ .

(٥٠) يقول ابن سعد عن العباس بن مرداس بن ابي عامر : « وكان ينزل بوادي البصرة ، وكان يأتي البصرة ، وروى عنه البصريون ، وبقية ولده ببادية البصرة ، وقد نزل منهم قوم البصرة » ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٢١ .

(٥١) Blachere - Histoire de la Literature,t. 3, pp. 276 - 7.

(٥٢) ابو عبيد ــ الاموال ، ص ٢٧٦ . ابو يوسف ، ص ١٥ . ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١١٧ ــ ٨ . الطبري ، س ١ ، ص ٢٣٧٦ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٢٦٨ ــ٢٦٩ ، ص ٢٨٢ ، ص ٤١٩ ، ص ٤٨٠ .

(٥٣) البلاذري ــ فتوح ، ص ٢٤٣ ــ ٤ . ابو عبيد ــ الاموال ١١٦ . يحيى بن آدم ، ص ٥١ . واكد عمر بن عبد العزيز على ان اهل الحيرة من يهود ونصارى ومجوس لا يدفعون الا الصدقة بعد اسلامهم ، « فمن اسلم ... فعليه في ماله الصدقة » . الصولي ــ ادب الكتاب ، ص ٧٥ .

(٥٤) انظر : المبرد ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ــ ٤٠ .

(٥٥) الطبري ، س ٢ ، ص ١٦٤٨ .

(٥٦) ن. م. س ٢ ، ص ٩٧٧ .

(٥٧) ن. م. س ٢ ، ص ١٠١٨ قرية الاعراب .

(٥٨) الازدي ــ تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، ص ٢٨٧ .

(٥٩) ديونيسيوس التلمحري ــ تاريخ ، ص ٤٧ ، ص ٨٩ ، ص ١١٤ ، ص ١٢٩ .

(٦٠) ن. م. ص ٤٧ .

(٦١) ن. م. ص ٩٤ .

(٦٢) انظر : الجاحظ ــ بيان ، ج ٢ ، ص ٧١ . يقول الجاحظ : « وزعم ابو العباس انه لم ير قرويا قط لا يلحن في حديثه ، وفيما يجري بينه وبين الناس » بيان ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

(٦٣) يقول الجاحظ : « وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المحوفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا، ومعناه شريفا كريما،ويعلم مع ذلك السامع

لكلامه في مخارج حروفه انه نبطي » رسائل الجاحظ (هارون) ج ١ ، ص ٦٦ .

(٦٤) انظر : Hyckmans - Arabie Meridionale, p. 67, pp. 71 - 2

(٦٥) أبو عبيدة ــ النقائض (تحقيق بيفان) ص ٤٢٤ . تاج العروس ، مادة (ولاء) . وانظر : البلاذري ــ انساب ، ج ١ ، ص ١٥٧ ، ص ١٨٩ ، ١٩٢ .

(٦٦) انظر : ابن هشام ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٦٧) البلاذري ــ انساب ، ج ١ ، ص ١٩٢ ــ ٣ من عطاء خثعم والاعلبان .

(٦٨) الطبري ، س ١ ، ص ٢٥٣٨ ، ص ٢٥٦٢ . البلاذري ــ فتوح ، ص ٤٨٠ . الانساب ، ج ٤ ، ت ٢ ، ص ١٠٧ ، ص ١١٢ . الانساب (خط) ق ١ ، ص ٨٨٣ ــ ٤ .

(٦٩) الطبري ، س ١ ، ص ٢٥٣٨ . انظر : السرخسي ــ المبسوط (القاهرة ١٩٢١) ، ج ٨ ، ص ٨١٥ .

(٧٠) الطبري ، س ١ ، ص ٢٠٢٨ ــ ٩ ، ص ٢٠٣١ ، ص ٢١٢٢ ، ص ٢١٦٧ ، ص ٢١٧٠ .

(٧١) انظر : الطبري ، س ٢ ، ص ٧٤٨ ، ص ٧٥٠ .

(٧٢) اليعقوبي ، ج ٢ (ط . هوتسما) ص ١٠٥٨ . مسالح العلي ــ التقاليد الادارية في البصرة ، ص ٦٥ .

(٧٣) البلاذري ــ الانساب ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ١٨٠ ، ص ١٨٥ . ابن سعد ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٦٠ . يقول الشيرازي عن عبد الله بن ابي اسحق انه « مولى آل الحضرمي وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف » والصحيح انه العرب مولى » . طبقات الفقهاء ، ص ٣٧ .

(٧٤) الطبري ، س ٢ ، ص ٨٣٤ ــ ٥ . كون البعض مثل عباد بن زياد ، والمختار وسليمان بن هشام بن عبد الملك كتائب من الموالي . انظر الطبري س ٢ ، ص ٥٢٣ ــ ٤ . البلاذري ــ انساب ، ج ٥ ، ص ١٣٦ ، فتوح ، ص ٤٢٩ . انساب (خط) ق ٢ ، ص ٤٣ ، ص ٣٦ . ابن سعد ، ج ٥ ، ص ١٥٠ .

(٧٥) انظر : البلاذري ــ انساب (خط) ق ١ ، ص ٥٩٦ .

(٧٦) حينما وعد اشرس امير خراسان (١١٠ هـ) اعفاء من يسلم من الجزية واقبل الناس على دخول الاسلام « فجاء دهاقين بخارى الى اشرس فقالوا . ممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا ! » الطبري س ٢ ، ص ١٥٠٥ ــ ٦ .

(٧٧) البلاذري ــ انساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ .

ولما تمنى العربان صاحب شرطة خالد القسري عليه منع الموالي من استعمال العربية ، اجاب مولى بلهجة ساخرة « اما الكلام فلن يتكلم الا بالزنجية ! » البلاذري ــ انساب (خط) ق ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٧٨) الخصائص لابن جني ، ج ١ ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ ، ابو الطيب — مراتب ، ص ٥ (المقدمين) . انظر : الاغاني (دار الكتب) ج ١٤ ، ص ٢٨٨ .

(٧٩) لسان العرب ، مادة « عرب » .

(٨٠) البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ١٢٥٨ ، ص ١٧٧ .

ومع أن الولاء لا يساوي النسب تماما ، فانه قد يؤدي الى الاندماج في الجماعة العربية « الاسلامية » . انظر الخلاف حول نسب ابراهيم النخعي في المبرد ، ج ٣ ، ص ١١٨٤ . وجاء في ابن سعد على لسان سعيد بن جبير — « وقال لي ابن عباس : ممن انت ؟ قلت من بني اسد ، قال : امن عربهم أو مواليهم ؟ قلت : لا ، بل من مواليهم ، قال : فقل انا ممن انعم الله عليه من بني اسد » . الطبقات ، ج ٦ ، ص ١٩٨ .

(٨١) جاء في البلاذري ، ان هشام بن عبد الملك سال رجلا من بني مخزوم (اخواله) : « يا خال ! اتقرأ كتاب الله ؟ قال : اقرأ منه ما اقيم به صلاتي ، قال : أتروي من الاشعار شيئا ؟ قال : لا ، قال : اتتعرف احاديث العرب واشعارها وايامها مما يعرفه مثلك ؟ قال : لا ، قال : أفتنسب قريشا وسائر بني نزار ؟ قال : لا احسن من النسب شيئا . قال : يا غلام ... فليس من خالنا حشمة » . انساب (خط) ق ٢ ، ص ٢٤٠ . وانظر : الجاحظ — البيان ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

(٨٢) ان استعراض اسماء من ترجم لهم (من فترة صدر الاسلام) في مؤلفات مثل طبقات ابن سعد ، واخبار القضاة لوكيع ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ، وتذكرة الحفاظ الذهبي ، ونزهة الالبّاء في طبقات الادباء للانباري ، يبين أن الموالي كانوا اقلية — حوالي ٢٥ — ٣٠٪ .

(٨٣) يروي الاعمش عن هلال بن يسار « قال : قدمت البصرة فدخلت المسجد فاذا انسا بشيخ ابيض الراس واللحية ، مستند الى اسطوانة في حلقة يحدثهم ، فسألت من هذا ؟ فقالوا عمر بن الحصين » (ت سنة ٥٣ هـ) ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٥ .

(٨٤) انظر : ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٥١ — ٥٢ ، ص ٥٤ ، ص ٥٥ ، ص ١٧٣ ، ص ١٩٢ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٣٦ . الطبري س ٢ ، ص ١٩٦٦ .

(٨٥) في الذهبي — معرفة القراء الكبار (القاهرة ١٩٦٧) ج ١ ، ص ٤٦ « فكنا نتعلم القرآن والعمل به » . وانظر : ص ٤٨ ، ص ٧٣ — ٧٤ . وانظر الشيرازي — طبقات الفقهاء (باعتناء احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠) ص ٤٣ ، ص ٤٤ ، ص ٤٦ ، ص ٥١ .

(٨٦) البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٥ ، ص ٧٦١ . وانظر : ابن سعد ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٢٧ . الذهبي — القراء الكبار ، ص ٣٤ ، ص ٣٧ — ٩ .

(٨٧) البلاذري — انساب ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

(٨٨) الشيرازي — طبقات الفقهاء ، ص ٨١ ، وانظر : البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٥ ، ج ٥ ، ص ٣٦ . ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤ ، ص ٥ ، ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٦٣ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١٦٣ . السجستاني — المصاحف (تحقيق

جفري) ، ص ١٣ — ١٥ . الاصبهاني — حلية ، ج ١١ ، ص ٦٤ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ص ٣٨ — ٩ .

(٨٩) وقد رشحهم أبو موسى لشرف العطاء ، ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص [illegible] . واقترح سعد بن أبي وقاص جعلهم في القين ، البلاذري — فتوح ، ص [illegible] . جاء رسول مصعب بن الزبير الى عمرو بن النعمان بن مقرن (في البصرة) بمال فقال له : الامير يقرئك السلام ويقول : انا لم ندع بالكوفة مقرئا الا وصله فاله معروفنا فاستعن على نفقة شهر رمضان بهذا . فقال : وعلى الامير السلام ، قل له انا والله ما قرأنا القرآن لنطلب به الدنيا ، ورده عليه » . البلاذري — انساب ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ .

(٩٠) انظر مثلا : الطبري ، س ١ ، ص ٣٢٧٣ ، ص ٣٢٨٣ ، ص ٢ ، ص ١٠٠٦ ، س ١٠٧٢ ، ص ١٠٧٦ — ٧ . ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤٦ ، ص ١٢٧ ، ص ١٠٤ ، ص ٢١٦ ، ص ٥٣ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٦٥ . البلاذري — انساب (مخطوط) ، ق ٢ ، ص ٣٠ — ٣١ ، ص ٥٤ . المبرد — الكامل ، ج ٢ ، ص ١١٢٧ ، الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٦٢ — ٦٣ ، ص ٧٦ .

(٩١) الطبري ، س ١ ، ص ٢٠٩٢ . البلاذري — انساب (مخطوط) ، ق ٢ ، ص ٥٢ . ابن سعد ، ج٧، ق ١ ، ص ١١٤ ، ص ١٤٠ ، ج ٧ ، ق ٢ ، ص ٢١ ، ص ١٧١ . وانظر : الذهبي — القراء الكبار ، ص ٦٨ .

(٩٢) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٤٤ — ٥ .

(٩٣) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤ ، ص ٧٤ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١١٤ . الاصبهاني — حلية ، ج ٢ ، ص ٩٨ — ٩٩ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ص ٦٢ — ٣ ، ص ٧٥ ، ص ٧٩ .

(٩٤) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٥ ، ص ٦٣ . الذهبي — تذكرة الحفاظ (دار المعارف العثمانية ١٣٣٣ — ٣٤) ج ٨ ، ص ١٠٦ . وانظر : الشيرازي — طبقات الفقهاء ، ص ٨٠ ، ص ٨١ ، ص ٨٢ — ٨٣ ، ص ٧٩ . الذهبي — القراء الكبار ، ص ٥٤ .

(٩٥) ابن سعد ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٩٦) انظر : الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ص ٥٤ ، ص ٥٦ ، ص ٦٢ — ٦٣ ، ص ٩٣ .

(٩٧) انظر : الطبري ، س ١ ، ص ٢٢١٢ ،

Bravamann - Spiritual Background of Early Islam, pp.169 off, pp. 176off.

(٩٨) ابو زهرة — المذاهب الفقهية ، ص ٢٧ وما بعدها ، ص ٢٦ وما بعدها . وانظر :

Schacht - Origins of Muhammadan Jurisprudence (Oxford 1959), pp. 25 off., pp. 82 off.

(٩٩) Schacht - Introduction to Law, pp. 16 off. P. 233 , P. 237 , P. 247

(١٠٠) انظر : فؤاد سزكين ــ تاريخ التراث العربي ، ج ١ ، ص ٢٢٦ وما بعدها ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٦٠ ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(١٠١) انظر : ابن حجر ــ تهذيب ، ج ١٢ ، ص ٩٩ ، طلب عمر بن عبد العزيز من أبي بكر بن حزم كتابة « ما كان من حديث رسول الله او سنة ماضية او حديث عمرة » . اليافعي ــ مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ٢٦١ . الدوري ــ علم التاريخ عند العرب ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ . الرامهرمزي ــ المحدث الفاضل (بعناية محمد عجاج الخطيب) ص ٤٢٣ ، ص ٤٣٠ .

(١٠٢) سزكين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ .

(١٠٣) انظر : ابن سعد ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٢٤ . الطبري ــ تفسير ، ج ٧ ، ص ١٢٩ . ابن حجر ــ الاصابة (القاهرة ١٩٣٩) ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . الف ابن عباس كتاب لغات القرآن (نشر باعتناء المنجد ، القاهرة ١٩٤٦) .

(١٠٤) انظر : الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٤٢ . وعرف مجاهد (ت ١٠٤/٧٢٢) باستعمال الرأي . سزكين ، ج ١ ، ص ١٧٦ وما بعدها . جولد تسيهر ــ المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ، ص ٧٥ وما بعدها ، ص ٦٨ ــ ٨٨ .

(١٠٥) سزكين ، ج ١ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، بروكلمان ــ تاريخ الادب العربي ، ج ٤ ، ص ١٧٣ وما بعدها .

(١٠٦) انظر : بلاشير ــ تاريخ الادب العربي . شوقي ضيف ــ التطور والتجديد في الشعر الاموي (ط ٥ ، ١٩٧٣) .

(١٠٧) الجاحظ ــ البيان ، ج ١ ، ص ١٩ . انظر : السيوطي ــ المزهر ، ج ٢ ، ص ٣٧٦. الزبيدي ــ طبقات النحويين (باعتناء ابي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، ص ١٤ . الانساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨١ . ابو الطيب ــ مراتب ، ص ٥ .

(١٠٨) يقول ابو الطيب : « ان اول ما اختل من كلام العرب فاحوج الى التعليم الاعراب ، لان اللحن ظهر في كلام المولدين والمتعربين بعد عهد النبي » . مراتب النحويين (ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٧) ، ص ٥ . وانظر : السيوطي ــ المزهر ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ . والزبيدي ــ طبقات النحويين (باعتناء ابي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، ص ١٤ .

ويروي السيرافي ان ابا الاسود قال لزياد : « اني رايت العرب قد خالطت الاعاجم وتغيرت السنتهم .. » انظر : اخبار النحويين البصريين (باعتناء كرنكو) ص ١٧ ــ ١٨ . وانظر : البلاذري ــ انساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨٩ عن اللحن ايام زياد . ويشير بحشل ، تاريخ واسط ، ص ٤٦ الى الاختلاط في الكوفة والبصرة . ويتحدث المبرد عن عدد من العرب البارزين ممن عرفوا بلكنتهم الاعجمية (مثل عبيد الله بن زياد ، وزياد الاعجم) الكامل ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ ــ ٦ . وانظر : الزبيدي ــ طبقات ، ص ١٤ . وكان زياد يقول : « اذا لم يجد احدكم سعة لتزوج من يرغب فيه لوضعة فليتزوج سبية » . البلاذري ــ انساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨١ .

(١٠٩) الطبري ، س ١ ، ص ٢٨٠٢ ــ ٤ .

(١١٠) الزبيدي ــ طبقـات النحويين ، ص ١ ــ ٢ .

(١١١) انظر : فوك ــ العربيـة ، ص ٢٩ ــ ٣٠ .

(١١٢) انظر : عبـد العال سالم مكرم ــ القـرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية ، ص ٤٨ ومـا بعدها . ابن النديم ــ الفهرسـت ، ص ٥ ،

Haywood - Arab Lexicography, p. 25 off.

الزبيدي ــ طبقـات ، ص ١٣ ــ ١٤ ، السيوطي ــ المزهـر ، ج ٢ ، ص ٣٩٨ . الداني : نقط المصاحف (دمشق ١٩٦٠) ص ١٢٢ ــ ٣ . وينسب البعض نقط الاعجام الى نصر بن عاصم (٧٠٧/٨٩) ، انظر : المصاحف للسجستاني ، ص ١١٨ . الذهبي ــ معرفة القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ص ٥٨ . وجاء في الذهبي « قال خلف بن هشام كنت احضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهـم » . معرفة القراء الكبار ، ج ١ ، ص ١٠١ ، وانظـر ص ١٠٢ . ابـو الطيب ــ مراتب ، ص ٨ .

(١١٣) السيرافي ــ اخبـار ، ص ٢١ وما بعدها ، السيوطي ــ المزهـر ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ . الذهبي ــ القراء الكبـار ، ج ١ ، ص ٧٣ ــ ٥ ، ص ٨٤ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٦ . شوقي ضيف ــ المدارس النحويـة ، ص ١٨ .

(١١٤) معرفة القـراء الكبار ، ص ١٠١ . وانظـر : الزبيدي ــ طبقات ، ص ٢ . ابـو الطيب ــ مراتب ، ص ٢٤ ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، ص ١٢٧ ، ص ١٦٥ . السيوطي ــ المزهـر ، ج٢ ، ص ٣٠٢ .

(١١٥) وهكـذا وقف ابو عمرو بن العـلاء وتلميذه يونس بـن حبيب الى جانب السماع . وانظر : السيرافي ــ اخبـار ، ص ٢٥ ، ص ٣٣ ــ ٤ . شوقي ضيف ــ المدارس النحويـة ، ص ١٩ ــ ٢٠ .

(١١٦) تتمثل نظرة الكوفـة في القول : « كل مـا كان لقبيلة قيس عليه » ، السيوطي ــ المزهـر ، ج ١ ، ص ٧٥٨ . انظر : احمـد امين ــ ضحى الاسلام (ط ٧ ، القاهرة ١٩٣٥) ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ وما بعدها . شوقي ضيف ، ص ١٥٧ ــ ١٦١ .

(١١٧) قـال عاصم بن ابي النجود الاسـدي (القارىء) : « من لم يحسن من العربية الا وجها واحدا لـم يحسن شيئا » . الذهبي ــ معرفة القراء الكبـار ، ص ٧٥ . انظر : شوقي ضيف ــ المـدارس النحوية ، ص ١٩ ، ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

(١١٨) انظر البلاذري ــ انساب (خـط) ق ٢ ، ص ٨٢٦ ــ ٣٧ ، ضمن المفضل الضبي .

(١١٩) الجاحظ ــ بيـان ، ج ١ ، ص ٢١١ ، والمرزباني ــ مختصر ، ص ٢٦ ــ ٢٧ ، ص ٢٥ . بلاشـير ــ تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، وانظـر : نهاد الموسى ــ ابـو عبيدة معمر بن المثنى (رسالـة دكتوراة غير منشورة) ، ص ٨٢ ، ومـا بعدهـا .

(١٢٠) ابـو الطيب ــ مراتب ، ص ٣٩ ــ ٤٠ . الذهبي ــ القراء الكبـار ، ج ١ ، ص ٨٣ ومـا بعدها . السيوطي ــ المزهـر ، ج ٢ ، ص ٤٠١ . يقول السيرافي عن يونس بـن حبيب : « وقد سمع من العرب كما سمع من قبلـه ... وكانت

حلقاته بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب الادب وفصحاء الاعراب والبادية » .
أخبار النحويين البصريين ، ص ٢٣ — ٢٤ .

(١٢١) انظر : المخزومي — مدرسة الكوفة ، ص ٧٩ وما بعدها . شوقي ضيف — المدارس النحوية ، ص ١٥٥ وما بعدها . بروكلمان — تاريخ الادب ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، ص ١٧٩ وما بعدها .

(١٢٢) أبو الطيب — مراتبه ، ص ٣٠ — ١ .

Haywood, op. cit. p. 24 off., p. 68 off.

(١٢٣) ذكر المبرد : « قال معاوية يوما : من أفصح الناس ؟ فقام رجل فقال : قوم تباعدوا عن فراتية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كشكشة بكر ، ليس فيهم ضجعة قضاعة ولا طمطمانية حمير » ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٥٨١ .

(١٢٤) الجاحظ — البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ . وانظر : ج ١ ، ص ٣٦٨ .

(١٢٥) بحشل — تاريخ واسط ، ص ٢٦ .

(١٢٦) يقول الجاحظ : « ولم أجد في خطب السلف الطيب والاعراب الافتاح الفاظا مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا قولا مستكرها ، وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين وفي خطب البلديين المتكلفين ، ومن أهل الصنعة المتأدبين » .
البيان والتبين ، ج ٢ ، ص ٨ — ٩ .

(١٢٧) انظر : **Fuck - Arabiya (Paris 1955), p. 9 off.**

(١٢٨) انظر : الدوري — بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب . روز نتال — علم التاريخ عند المسلمين . جب — دراسات في حضارة الاسلام ، مقال : التاريخ .